



آهات قلبِ لیسوع

(١)

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٧

جئت يا محبة الله المتجسد؛ لكي تعلمنا الحياة، ولذلك لم تأت بشريعة، بل بملكوت السموات، وبعطية الروح القدس، ووهبت ذاتك هبةً كاملةً، إذ عَبَرْتَ مانعَ الموتِ على الصليب، وحاجز الموت الرهيب القبر، ثم قمت حياً لكي تحلِّد محبتك للبشرية.

تعلمتُ منك الحياة التي تقدّمها سرّياً في العشاء السري، وفي الكلمة، وفي الصلاة، وفي حضورك الإلهي الذي لا يمكن أن تحدده بكلمات. حضورٌ يُعرَفُ بالمحبة، وخارج المحبة، تتحول عندنا من شخصٍ إلى أفكار، من إلهٍ متجسدٍ إلى نظامٍ عقلي نحاول أن نسجنك فيه؛ لأن هذا السجن يعطي لنا قدرة السيطرة عليك.

رأيتُ فيكَ أنك أنت ورأيك ووجودك وشعورك وشخصك واحدٌ لا ينقسم كإله تحيا إنسانياً، وكإنسانٍ تحيا إلهياً، دون حذفٍ أو تبديدٍ لأيٍّ من اللاهوت أو الناسوت، فأدركتُ أن كلَّ ما يُقال عنك هو محاولات لفهم سرِّك الذي يجب أن يُعاش ويُحب قبل أن يُفهم؛ لأن المحبة عندك تسبق المعرفة وتلد المعرفة الحقّة.

تؤهلنا بالشركة فيك، ولكن ثقافة العبيد تخاف من الاسم ومن الشرح ومن القصد، وترفس وتقاوم وكأنك مجرد إنسان.

جئت متجسداً لكي تُخفي ألوهيتك عنا، حتى تلك المستعلنة في السر المجيد، سر قيامتنا معك وفيك، صارت مجرد قيامة فرعونية مثل ما كان يطمع فيه الملك توت عنخ آمون، أي قيامة جسدٍ. نحن نحب ما هو حيواني، ولذلك لا نرتقي إلى مستوى إنساني يليق بملكوتك.

تأمل معي يا رب ذلك الصراع المجنون حول الكلمات والمصطلحات والترجمات،

هكذا صرت نصاً، وألغى ذلك الصراع تجسُّدَكَ، أي اتخذك لحماً ودماً. ماذا أقول عن هذا الصراع: أنت واحدٌ في طبيعتين، أم واحدٌ من طبيعتين؟ هكذا حوَّصر الحق بين "في" و "من"، وكلُّ كُتُب ما لديه على لوح حجري، والويل لمن يحاول، حتى النقاش.

أنت فينا ونحن فيك أبناءٌ للآب، تعلقو على "في" و "من".

عند المذبح أنت تخدمنا إلهً متجسِّدٌ، توَزَّع ذاتك؛ لأنك واحدٌ "من" اثنين، وتحل فينا؛ لأنك واحدٌ "في" اثنين، وأنت لا تتغير؛ لأن المحبة لا تغيِّر المحب، بل تغيِّر المحبوب. وقد جعلتك المحبةُ يا محبوبُ الآب، تأخذ صورة العبد.

خوفنا من كلمة "تغيير" هو خوفٌ وحرص العبيد، لا شجاعة الأبناء الذين تحرروا من قيد اللغة.

عبيدُ اللغة صاروا عندنا قياداتٍ، يحاكمون الأحرار، ويخترعون الاتهامات، وبالرغم من أنك ترى، فلأنك أخذت صورة العبد، وأخليت ذاتك، لا تجاوب هؤلاء، ولا تحتد، بل تترك الغوايةَ تعمل لكي تفرز محبتك لمن شاء الإفراز.

هكذا يا رب تحولت الحياةُ عندنا من إلهٍ متجسِّدٍ يحيا بيننا وفينا، إلى أحاديثٍ وإلى جدلٍ طال وامتد عبر قرون.

الذين أبغضوا ألوهيتك جعلوك إنساناً، والذين أبغضوا أنفسهم جعلوك إلهاً؛ لأن الجسد البشري عدوُّ لهم. وأنت يا يسوع ترى وتسمع وتصمت؛ لأنك صبورٌ، وفي صبرك ترجو أن ننمو، وندرك ألوهيتك المتجسدة.

التجسُّدُ عثرةٌ، والصليبُ صخرةٌ شكِّ، والقيامةُ بئرُ المستحيل، لكن التجسُّدُ هو استعلانُ محبتك، والصليبُ هو عبورُك إلينا من باب الموت، والقيامةُ فتحت لنا باب الحياة.

وعندما تجيء يا يسوع إلينا، فأنت تجيء متجسداً، لا بكتابٍ ولا بفكرةٍ، بل بشخصك الحي.

مجيئك لكل إنسان هو مجيء الراعي الصالح الذي يفتش عن الخروف الضال. وتجيء للجوعى وتعطي طعام الخلود.

يسوع، أقول مع أرميا، إن جدران قلبي توجعني، وقد وجدت أنها في الحقيقة جدران قلبك أنت. قالوا عنك أنت سامريّ وبك شيطان، وقالوا عني أكثر من ذلك. أما جامعوا الذنوب، فإنهم يصدقون كل الشتائم؛ لأن الكذب مريح، وسهل لمن سلّم إرادته لغيرك.

د. جورج حبيب بياوي